التصوف وعلم الشريعة

إعداد

دكتور/ أحمد بن عبد العزيز القصير

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك فيصل بالدمام

المستخلص:

لقد دعا كثير من أئمة التصوف إلى التمسك بالكتاب والسنة، في أقوال لهم حسنة، وتوجيهات طيبة، ولكن الدارس للتراث الصوفي يدرك أنه قد تضمن كثيرا من المخالفات الشرعية، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، ولم يكن ذلك من العامة وحدهم ، بل ـ أيضا ـ من الأئمة المعتبرين عند الصوفية.

وقد تأملت في الاختلاف بين الجانب النظري من التصوف، الداعي إلى التمسك بالكتاب والسنة، والجانب العملي من التصوف، المليء بالمخالفات للكتاب والسنة ؛ فتبين أن موقف التصوف من علم الشريعة هو أهم أسباب ذلك. فقد هون أئمة الصوفية من قدر علم الشريعة، وادعوا أنه حجاب على القلب، وحذروا من مجالسة علماء الشريعة، فانصرف المتصوفة عن التفقه في الدين، وظهرت المخالفات الشرعية العلمية، والعملية.

وكان من أسباب الجفوة بين المتصوفة وعلم الشريعة: اتباع المتصوفة للمذهب الإشراقي الغنوصي، واعتقادهم أنهم ينالون العلوم بالإلهام، دون الحاجة إلى العلماء، وظنهم أن علم الشريعة لا يتعلق إلا بظاهر الدين، والتصوف هو العلم بباطن الدين.

وقد نتج عن بعد المتصوفة عن علم الشريعة نتائج سيئة، من ذلك: كثرة البدع، وانتشار الخرافات، والتصديق بالسحر، وكثرة الأحاديث الموضوعة، والتفرق والاختلاف، والتخلف العلمي والحضاري للأمة.

مع أن الواجب على الأمة جميعا الاعتصام بالكتاب والسنة، وطلب علم الشريعة، وتعظيم قدر العلم وأهله.

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد أرسل الله تبارك وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ بالهدى ودين الحق، ليقوم الناس بواجبهم في العبادة والعمارة، ولهذا الدين مصدرين ربانيين، هما الكتاب والسنة، من علم أحكامهما، وامتثل أوامرهما ؛ لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

وقد قرر أئمة الإسلام أن العلم مقدم على القول والعمل، فمن عبد الله على جهل ؛ فإنه سوف يسيء ويبتدع، ويخالف أحكام الشريعة.

ولكن بعض المسلمين قد خالفوا ذلك، وكان لهم من علم الشريعة موقف خاص، ومن هؤلاء المتصوفة.

وهذا البحث عن (التصوف وعلم الشريعة)، أبدأ فيه بتعريف التصوف، وإيضاح المقصود بعلم الشريعة، ثم أبين موقف الصوفية من علم الشريعة، وأسباب ذلك، ونتائجه، مشيرا إلى الموقف الصحيح من علم الشريعة، سائلا الله المعونة والتوفيق.

وقسمته إلى ست مسائل:

أولا: معنى التصوف، وعلم الشريعة.

ثانيا: دعوة أئمة التصوف إلى التمسك بالكتاب والسنة، ومخالفتهم لذلك.

ثالثا: موقف التصوف من علم الشريعة.

رابعا: أسباب انصراف المتصوفة عن علم الشريعة.

خامسا: نتائج موقف المتصوفة من علم الشريعة.

سادسا: الموقف الصحيح من علم الشريعة.

أولا: معنى التصوف، وعلم الشريعة

معنى التصوف

التصوف منهج محدث مبتدع، وجد في العالم الإسلامي في القرن الثاني الهجري[1]، متأثرا بفلسفات هندية ويونانية.

واختلف الباحثون في تحديد أصل كلمة (التصوف)، فقيل إنها مشتقة من لبس الصوف، أو من رجل اسمه صوفة، أو من الصف، أو من الصفّة، والأرجح أنها مشتقة من (سوفيا)، وهي كلمة يونانية تعني الحكمة، والنسبة إليها (سُوفي) للمفرد، و (سوفية) للجمع، ثم خضعت للذوق العربي، فقيل (صوفي) و (صوفية) و (تصوف)[2].

قال البيروني مبينا التشابه بين مذهب سوفية اليونان ومذهب الصوفية: (إن من اليونان من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط... وهذا رأي السوفية، وهم الحكماء، فلما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا بأسمائهم)[3].

وقد تعددت أقوال أئمة التصوف في بيان معناه.

قال الجنيد بن محمد سيد الطائفة الصوفية: (التصوف: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية)[4].

وقال الشبلي: (التصوف: العصمة عن رؤية الكون)[5].

وقال المزابلي: (التصوف: حال تضمحل فيها معالم الإنسانية)[6] .

وهذه أقوال لأئمة التصوف المتقدمين، يظهر فيها البعد الفلسفي.

فليس التصوف هو الزهد في الدنيا، ولا الاجتهاد في العبادة، ولا لزوم الأخلاق الحسنة في المعاملة.

يقول إمام الصوفية عمر السهروردي: (التصوف غير الزهد، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر، ومعاني الزهد، مع مزيد أوصاف وإضافات، لا يكون بدونها الرجل صوفيا، وإن كان زاهدا)[٧].

فهناك زهد شرعي، وعبادة شرعية، وهناك زهد صوفي، وعبادة صوفية، ومن الخطأ الخلط بينهما.

قال الصوفي المعاصر أبو الوفا الغنيمي التفتازاني شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقا: من الأدق عدم إطلاق اسم (الصوفية) على زهاد المسلمين حتى أواخر القرن الثاني، لأننا لا نرى أن مثل هذا الزهد لا تنطبق عليه خصائص التصوف [٨].

فالتصوف مذهب له قواعده، وطرائقه، ومصطلحاته، وحقيقته، وأصوله التي تميزه عما هو مشروع في الكتاب والسنة من الزهد والعبادة والأخلاق الحسنة.

معنى علم الشريعة

العلم لغة: المعرفة، وإدراك الشيء بحقيقته [٩].

والعلم اصطلاحا: الإدراك عن دليل، لمجموع مسائل و أصول كلية، تجمعها جهة واحدة، كعلم اللغة، وعلم الطب، وعلم الفلك [١٠].

والشريعة لغة: المورد الدائم الذي يشرب منه الناس، ونهج الطريق الواضح، ثم جعل اسما للطريق.

قال الراغب الأصفهاني: (الشرع نهج الطريق الواضح)[١١].

والشريعة اصطلاحا: الطريق الذي بينه الله لعباده ليسيروا عليه، ويتضمن كل ما أمر الله به، وكل ما نهى عنه، في كتابه، أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالشريعة تشمل الدين كله.

ومن العلماء من خص الشريعة بالأمور الاعتقادية من الدين، كالإيمان بالله، وملائكته، كما فعل الآجري في كتابه (الشريعة)، وابن بطة العكبري

في كتابه (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية)، ومن العلماء من خص الشريعة بالأمور العملية من الدين، كالعبادات والمعاملات، وهذا هو الأشهر في استعمال المتأخرين.

والمقصود بعلم الشريعة هنا: معرفة أحكام الدين ؛ من خلال الأدلة الشرعية، وهو يشمل علوم التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، ونحوها من العلوم.

ثانيا: دعوة أئمة التصوف إلى التمسك بالكتاب والسنة، ومخالفتهم لذلك:

دعوة أئمة التصوف إلى التمسك بالكتاب والسنة

حث كثير من دعاة التصوف وعلمائه على التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والتحذير من الابتداع في الدين.

قال ذو النون المصري: (من علامة المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه، وأوامره، وسننه)[١٢].

وقال الجنيد: (علمنا هذا [يعني:التصوف] مقيد بالكتاب والسنة)[١٣].

وقال مؤسس الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني: (الأولى للعاقل المؤمن الكيس أن يتبع ولا يبتدع، ولا يغالي ويعمق ويتكلف، لئلا يضل ويزل ويهلك)[١٤].

وقال ابن عربي: (اعلم وفقك الله أن الشريعة هي المحجة البيضاء، محجة السعداء، من مشا عليها نجا، ومن تركها فقد هلك)[١٥].

وقال عبد الكريم الجيلي: (إن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة)[١٦].

ويقول داعية الطريقة النقشبندية المعاصر محمد أمين الكردي: (إن طريقة السادة النقشبندية هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهي طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها، لم يزيدوا فيها، ولم ينقصوا منها)[١٧].

وهذه توجيهات حسنة طيبة.

مخالفة التصوف للكتاب والسنة

الدارس للتراث الصوفي يدرك أنه قد تضمن كثيرا من البدع في العقيدة والعبادة والأخلاق، ومن تأمل واقع الصوفية ظهر له بجلاء مخالفتهم لكثير من أحكام الشريعة، وليس ذلك على مستوى العامة والأتباع، ولا من قبل المنحرفين عن طريق التصوف، بل وللأسف يظهر الانحراف بشكل واضح ومتكرر على مستوى الأئمة المتبوعين، والمشايخ المعظمين عندهم.

ومن ذلك:

١) إيمانهم بوحدة الوجود، أي: اعتقادهم أن الله تعالى والعالم شيء واحد !

قال عبد الغني النابلسي: (وما هما [أي:الخالق والمخلوق] اثنان، بل عين واحدة)[١٨].

وقال القاشاني: (كل خلق تراه العيون فهو عين الحق [الله تعالى] ولكن الخيال المحجوب سماه خلقا، لكونه مستورا بصورة خلقية)[١٩].

٢) إيمانهم بالحقيقة المحمدية، وليس المقصود بها الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هي نظرية فلسفية تزعم بوجود حقيقة كونية أزلية، ومعنى عام صدر من الوجود الواحد المطلق وهو وجود الله، لتفيض منه الكائنات، وليكون حلقة الوصل بين الوحدة الوجودية والكثرة الشهودية.

قال الكمشخانوي: (الحقيقة المحمدية: هي الذات [الإلهية] مع التعين الأول)[٢٠].

فوجود الله بزعمهم كان مطلقا، لم يكن في ذات معينة ، حتى تعين في الحقيقة المحمدية، ومنها انبثقت الكائنات.

وقال العروسي: (أول ما أفيض من التعينات الكونية النور المحمدي بالتجلي الذاتي الأقدس)[٢١].

٣) إيمانهم بوحدة الأديان ؛ لأن كل معبود هو عين لذات الله بناء على عقيدة وحدة الوجود، فالعبادة على كل حال، وفي كل الأديان متوجهة في اعتقادهم إلى الله تعالى !

قال ابن عربي: (والعارف المكمل [أي:من بلغ الكمال عند الصوفية] من رأى أن كل معبود مجلى للحق يعبد فيه)[٢٢].

وقال الجيلي: الحق سبحانه وتعالى في كل شيء،... الشريك هو الحق، والمشرك هو الحق،...فإن شئت أشرك، وأن شئت أفرد)[٢٣].

وقال مؤسس الطريقة التجانية أحمد التجاني: (فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر، فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى، لأن الله هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات)[٢٤].

٤) إيمانهم بسقوط العبادة: فمن وصل إلى الوحدة رأى أن العابد هو المعبود، بل لا عابد ولا معبود في الحقيقة.

قال أحمد المستغانمي وهو من مشايخ الطريقة الشاذلية: (ينادي لسان حال العارف: إلهي ـ من حيث حقيقة الوجود ـ أنت العابد والمعبود)[٢٥].

وقال العروسي: (لا فاعل إلا الحق وحده، فهو العابد ـ باعتبار تعيّنه، وهو المعبود ـ باعتبار
إطلاقه، وعين العبد باقية على عدمها)[٢٦].

وقال ابن عجيبة: (مادامت البشرية موجودة [أي: لم يصل السالك مرتبة الكمال] فلا بد من التكليف، فإذا انهدمت البشرية... سقط حينئذ التكليف، فافهم !)[٢٧].

فعند إحساس المتصوف بفناء البشرية، وتحققه بالربانية، يحس بنشوة وسكر، وتسقط عنه حينئذ التكاليف بزعمهم.

قال أبو مدين الملقب عندهم بالغوث:

ولا تلم السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا عنا[٢٨]

٥) الغلو في الأولياء، فقد غلا الصوفية في شأن الأولياء، وهم عندهم مشايخ التصوف، حتى اعتقدوا اتصافهم بكل صفات الكمال الإلهية !

قال مؤسس الطريقة الشاذلية أبو الحسن الشاذلي: (الكاملون حاملون لأوصاف الحق)[٢٩].

وقال تلميذه أبو العباس المرسي: (لو كشف عن حقيقة ولي لعبد من دون الله، لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته)[٣٠].

فإذا بلغ الصوفي مرتبة الولاية الكاملة صار عندهم الغوث الأعظم، والقطب الأوحد الذي له التصرف في الكون !

فقد أشار مؤسس الطريقة الرفاعية أحمد الرفاعي إلى أن العارف إذا انتهى إلى مقام الغوثية يرفع الله منزلته، فيكون عين سر الله في أرضه، به ينزل الغيث، وبه يرفع البلاء، وبه تنزل البركات، حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلا بنظره [٣١] .

وقال ابن عربي مبينا مكانة الولي المتمكن عندهم: (ولأصحاب هذا المقام التصريف والتصرف في العالم)[٣٢].

وقرروا أن الولي إذا بلغ هذه المنزلة فلا بأس من التوجه له بالعبادة، من الذبح والنذر والاستغاثة والتوكل ونحو ذلك، ومن هنا كثر الغلو في القبور، فعظمت المشاهد والأضرحة.

وهذه كلها مخالفات للشريعة، وبدع في الدين، وانحراف عن الكتاب والسنة.

ثالثا: موقف التصوف من علم الشريعة

لقد تأملت في الاختلاف بين الجانب النظري من التصوف ـ المحذر من البدع، والداعي إلى التمسك بالكتاب والسنة ـ والجانب العملي التطبيقي

من التصوف المليء بالبدع، والمخالفات للكتاب والسنة، فتبين أن موقف التصوف من علم الشريعة هو أهم أسباب ذلك.

فعلم الشريعة نور، يعصم المؤمن من ظلمات البدع، ولكن الصوفية هونوا من قدر العلم.

قال أبو الحسن الشاذلي: (العلوم التي وقع الثناء على أهلها ـ وإن جلّت ـ فهي ظلمة في عين ذوي التحقيق)[٣٣].

وغير خاف أن العلوم الجليلة التي وقع الثناء على أهلها في مثل قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[٣٤] ؛ هي علوم الشريعة.

وأطلق الصوفية على علماء الشريعة أوصافا فيها انتقاص من مكانتهم، نحو (أهل الظاهر)، و (علماء الرسوم)، و (علماء الدنيا).

وحذروا أتباعهم من مجالسة أهل العلم، بل ومن الاستماع إليهم.

قال ابن عربي: (ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله،... فهم لهذه الطائفة بمنزلة الفراعنة للرسل)[٣٥].

وقال ابن عجيبة: (الجلوس مع علماء الظاهر اليوم أقبح من سبعين عاميا وفقيرا جاهلا، لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة... فليحذر المريد من صحبتهم، والله ما رأيت أحدا قط من الفقراء قرب منهم وصحبهم فأفلح أبدا)[٣٦]ومن أمثلة الذم لعلماء الشريعة قول أحمد التجاني: (أهل الظاهر واقفون مع نفوسهم، غارقون في بحر الهوى)[٣٧].

ويعد أهل التصوف طلب العلم الشرعي من أكبر الآفات التي تصيب الصوفي السالك، والمريد الباحث عن الحق !

قال أبو بكر الوراق: (آفة المريد ثلاثة أشياء: التزويج، وكتابة الحديث، والأسفار)[٣٨].

وعدت الصوفية المشهورة رابعة العدوية طلب علم الحديث النبوي من الركون إلى الدنيا، فقد رووا عنها أنها قالت لأحد علماء الشريعة: (نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا، قال: وفي ماذا رغبت ؟ قالت: في الحديث)[٣٩] !

فقارن هذا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الحديث، في نحو قوله: (نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها وأداها)[٤٠].

واشتد تنفير أئمة الصوفية عن العلم الشرعي وأهله ؛ لأن طالب العلم سيتعلم السنة والشرع، ويدرك ما خالفهما من المحدثات والبدع التي تضمنها المنهج الصوفي.

قال ابن الجوزي: (العلم نور، وإن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور ؛ ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل)[٤١].

وقد كنت أظن أن جملة (العلم نور) مما اتفق عليه الناس، ولكني وجدت أن الصوفية قد عكسوا القضية، فجعلوا الجهل نورا، والعلم ظلمة !

فقد مر بنا قول أبي الحسن الشاذلي : (العلوم التي وقع الثناء على أهلها ــ وإن جلّت ــ فهي ظلمة في عين ذوي التحقيق)[٤٢].

وصرحوا بأن العلم من أعظم الحجب على القلب.

قال حاتم الأهدل: (واعلم أن العلوم حجب على القلب)[٤٣].

وقد قال المتصوفة ذلك لأن العلوم الشرعية تحجب القلب عن الاغترار بالباطل، وتعرف الناس بالعقيدة الصحيحة.

ولذا فإن أئمة التصوف يطلبون من المريدين عند بدء دخولهم في الطريق الصوفي أن ينقطعوا عن حضور دروس العلماء، وأن يعتزلوا مجالسهم.

ذكر الشعراني أن شيخه عليا الخواص طلب منه في أول لقاء بينهما أن يبيع كتبه، ثم طلب منه في لقاء بعده أن يترك طلب العلم [٤٤].

وهذا ابن عجيبة يقول: لما دخلت في الطريق بعت كتب العلم الظاهر[٤٥].

بل لقد ذم المتصوفة الأدوات العلمية، كالكتب والأوراق والمحابر والأقلام !

قال أبو سعيد الكندي: كنت أنزل رباط الصوفية، وأطلب الحديث خفية، بحيث لا يعلمون، فسقطت الدواة يوما من كمي، فقال لي بعض الصوفية: استر عورتك[٤٦].

ولمخالفة المنهج الصوفي للعلوم الشرعية ؛ فقد كان المريد مأمورا بأن بمحو أثرها من قلبه.

أخبر أبو مدين المغربي أنه ما دخل على شيخه في التصوف حتى طهر قلبه من جميع علومه[٤٧].

وذكر أبو الحسن الشاذلي أنه لم يصحب شيخه عبد السلام بن مشيش إلا بعد أن خرج من علمه[٤٨].

وتخويفا للأتباع من علم الشريعة يذكر الصوفية قصصا مفادها أن بعض الصوفية حرم من الدرجات العالية في الجنة، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بسبب اشتغاله بتعلم العلم الشرعي وتعليمه[٤٩].

وهذه القصص ينقضها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع)[٥٠].

وقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وقل رب زدني علما)[٥١].

والعجب أن ابن عربي يرى في هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم ما طلب الزيادة من علم الشريعة، وإنما طلب الزيادة من علم آخر، هو علم الحقيقة الصوفية[٥٢]!

وقد أقر أبو حامد الغزالي ــ وهو الصوفي الخبير بآراء المتصوفة ــ برغبة الصوفية عن تعلم العلوم الشرعية، فقال: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية، دون التعليمية ؛ ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات، بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، ثم يخلوا بنفسه في زاوية، ويجلس فارغ القلبِ، لا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسير، ولا بكتب حديث، ولا غيره [٥٣].

والعجيب أن يصدر هذا الكلام من الغزالي، وهو الذي قد بلغ مرتبة عالية في العلم والفقه قبل أن يدخل مذهب التصوف !

قال ابن الجوزي: (عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه، فإنه لا يخفى قبحه ؛ فإنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة، التي حثت على تلاوة القرآن، وطلب العلم)[٥٤].

وصرح مشايخ الصوفية أن المريد المخلص غني عن علم الشريعة وأهله ؛ لأنه بملازمته لشيخه في التصوف، وإخلاصه في طاعته، سينال ــ في اعتقادهم ــ العلم بدون لقاء العلماء، ولا قراءة للكتب.

قال الجنيد: (المريد الصادق غني عن علم العلماء)[٥٥] .

ويقارن أبو العباس المرسي بين ما يستفيده الطالب من شيخه الصوفي، وما يستفيده من عالم الشريعة، فيقول: (سماعك من شيخك كلمة أدب في لحظة واحدة، أفضل من أدب معلمك في الأدب الظاهر عشرين سنة)[٥٦].

فالبديل ــ عندهم ــ عن علماء الشريعة هو ملازمة شيخ متبحر في التصوف، ولو كان قليل البضاعة في علوم الشريعة، بل ولو كان من الأميين الذين لم يدرسوا علم الشريعة مطلقا !

فهذا شيخهم القديم أبو يزيد البسطامي كان ــ كما يقول ــ يتعلم التصوف من شيخ لا يحسن قراءة سورتي الفاتحة والإخلاص [٥٧].

وهذا الشعراني يقول: (شيخي وأستاذي علي الخواص، كان أميـا، لا يكتب ولا يقرأ، وكان محل كشفه اللوح المحفوظ)[٥٨] !

وأوجب الصوفية على المريد الطاعة لشيخه الصوفي، وأن يكون بـين يديه كالميت بين يدي المغسل، وبالغ بعضهم فطالب بطاعة الـشيخ أولا، ثـم طاعة الله ثانيا [٥٩] !

ولكن ماذا يصنع الصوفي إذا تبين له مخالفة أوامـر شـيخه للأدلـة الواضحة من الكتاب والسنة ؟

يجيب عن ذلك شيخ الصوفية علي المرصفي بقوله: (وليحذر مـن أن يرد على شيخه كلامه، ولو كان النقل الراجح بيد المريد)[٦٠].

قارن هذا بما ثبت عن الإمام مالك أنه قال: (إنما أنا بـشر، أخطـئ وأصيب ؛ فانظروا في رأيي، كل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، ومـا لـم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)[٦١].

وقول الشافعي: (إذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه)[٦٢].

والصوفية يمنعون المريد من طلب الأدلة الشرعية من الشيخ، بل ذلـك عندهم من الانحراف وسوء الأدب مع المشايخ.

قال محمد السمنودي: (من الدسائس التي تدخل على المريد أن يطلـب من شيخه دليلا على قوله)[٦٣].

أما علماء الشريعة فإنهم يأمرون الطلاب الذين يأخذون عنهم العلـم أن يتعلموا الأدلة الشرعية التي يبنون عليها فتاواهم وأقوالهم.

قال أبو حنيفة:(لا يحل لأحد أن يقول بقولنا؛ حتى يعلم من أين قلناه)[٦٤].

ومن المقرر عند أئمة الصوفية أن الرد على الشيخ بدليل عقلي أو نقلي ناقض للعهد، مفسد للقلب، قاطع عن الوصول.

وسدا لأبواب الاعتراض أوجبوا على الصوفي أن يخرج من علمه، وأن لا يقف مع عقل ولا نقل، بل يترك ذلك كله، وذلك لعلمهم أن من حقائق التصوف مالا تسعه العقول، ولا يوافق الدليل المنقول [٦٥].

ولا شك أن الإعراض عن النقل الصحيح والعقل الصريح مسلك أثيم، يؤدي إلى سد أبواب الهدى والعلم، ليتمكن بعد ذلك من أراد من فتح أبواب البدع والهوى، وهذا أعظم أسباب الانحراف والضلال، فقد أخبر الله تبارك وتعالى عن أهل النار أنهم سيندمون على تركهم الأدلة السمعية والعقلية، ويقولون: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)[٦٦].

رابعا: أسباب انصراف المتصوفة عن علم الشريعة

إن هذه الجفوة الشديدة بين المتصوفة وعلم الشريعة ترجع في نظري إلى أسباب، منها:

١) اتّباع الصوفية للمذهب الإشراقي، ويقصد بالإشراق تلقي العلم الغيبي، والمعرفة الإلهية عن الله مباشرة، بعد رياضات روحية، ومجاهدات نفسية، بحيث تصفو النفس من الكدورات البشرية، وحينئذ ينعكس عليها، ويشرق عليها — بزعمهم — من العلوم والمعارف ما هو منقوش في العالم العلوي.

ويطلق على هذا المذهب أيضا اسم (الغنوصية) ؛ نسبة إلى الكلمة اليونانية (غنوصيوس)، التي تعني: المعرفة.

ومذهب الإشراقيين يؤمن بالمعرفة القلبية، التي تقوم على الكشف والذوق، وهذا المذهب هو الصورة الأخيرة التي آل إليها مذهب أفلاطون، بعد تطوره وتفاعله مع تيارات فلسفية متعددة [٦٧].

لقد تبنى الصوفية مذهب الإشراق بزعم أنه الوسيلة الصحيحة لإدراك الحقائق، فإذا أراد الصوفي الحصول على المعرفة اليقينية، فعليه أن يداوم على الرياضات البدنية، والمجاهدات النفسية، ويغيب عن نفسه، وعن الكون من

حوله، بتحقيقه للفناء التام، وهنا سيتوهم أنه يمتزج بالأنوار الإلهية، ويتخيل خيالات يظنها علوما ربانية.

قال العروسي: (العلم قسمان: كسبي، وهو بالتعليم، وذوقي وهبي، وهو نتيجة العمل بطريق إشراق الأنوار الإلهية؛ فتترتب عليها العلوم الرحمانية)[68].

وقال أحمد الرفاعي:(إذا صفا القلب حدث صاحبه بما كان ويكون)[69].

وقال ابن عربي: (إذا صفا العبد من كدورات البشرية، وتطهر من الأدناس النفسية، اطلع الحق عليه اطلاعة، يهبه الله فيها ما يشاء من علم الغيب، بغير واسطة)[70].

وبهذا يتبين بجلاء اتباع الصوفية للفكر الغنوصي الإشراقي، متبعين في هذا الفلسفات الأجنبية.

وهذا ما أقر به أبو الوفا الغنيمي التفتازاني شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقا عندما قال: وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندري — التي تعتبر المعرفة مدركة بالمشاهدة، في حال الغيبة عن النفس، وعن العالم المحسوس — كان لها أثرها في التصوف الإسلامي، فيما نجده من كلام متفلسفي الصوفية عن المعرفة [71].

٢) انتقاص الصوفية للعلوم التي تنال بالوسائط، ومنها علم الشريعة، فهو يؤخذ بواسطة العلماء، والأسانيد، والكتب، والتعلم، أما علم التصوف فيؤخذ — في ظنهم — بالاتصال المباشر بالله تعالى، دون واسطة بين الصوفي وربه !

قال ابن عربي: (إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم ؛ حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ)[72].

وكان شيخه أبو مدين إذا سمع من يروي الحديث بالأسانيد قائلا: حدثنا فلان عن فلان ؛ يقول: (ما نريد نأكل قديدا، ائتوني بلحم طري)[73].

ويرى المتصوفة أنه بإمكان الواصل منهم أن يشاهد الملائكة، ويقتبس من علومهم !

قال عبد العزيز الدباغ: (المفتوح عليه ــ سواء كان نبيا أو وليا ــ لا بد أن يشاهد الملائكة)[٧٤] .

بل إن أبا حامد الغزالي يعتقد أن رؤية الملائكة تبتدئ من أول سلوك المتصوف للطريقة، فيقول: (من أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد)[٧٥].

وزاد الصوفية في الغلو ؛ فزعموا أن الصوفي قد يطلع على مالم يطلع عليه جميع الأنبياء والملائكة.

قال إبراهيم الدسوقي مؤسس الطريقة البرهامية: (إن الله تعالى يقذف في سر خواص عباده ؛ مالا يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل)[٧٦] !

والغزالي ــ الذي يعد من الصوفية المعتدلين ــ صرح بأن (في الأولياء من يشرق نوره ؛ حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء)[٧٧].

وهم يرون أن الله يناجيهم، فيسمعون كلامه، كما كان موسى عليه السلام يسمع كلامه.

قال الجيلي: كلام الحق يسمعه العبد، تارة يسمع الكلام من كل جهة، وتارة يسمعه من جهة [٧٨].

والجيلي نفسه ادعى أنه قد سمع الله تعالى يقول له: (يا فلان، أنت محبوبنا، وكل أحبنا وطلبنا، ولكن نحن أحببناك وطلبناك)[٧٩].

وقد كشف شيخ الإسلام ابن تيمية النقاب عن تلاعب الشياطين ببعض الصوفية ؛ ذلك أنهم بعد الرياضات البدنية الشاقة، والخلوة في المقابر والأماكن المظلمة أو المهجورة، تأتيهم الشياطين فتكلمهم، وقد تقول: أنا الله

تعالى، أو أنا محمد صلى الله عليه وسلم، أو أنا الخضر عليه السلام، ومن ثم يصدق هؤلاء بذلك [٨٠].

وأحيانا يصاب بعض هؤلاء بأمراض نفسية، فيتخيلون نزول الملك، أو حديثا إلهيا، أو مقابلة نبي من الأنبياء، وليس ثمة شيء من ذلك.

ومنهم من يفتري على الله الكذب، فيقول: أوحى الله إلي، أو سمعت هاتفا من السماء، أو جاءني جبريل، وهو كاذب في ذلك.

وقد ذكر الشعراني أن أحد أئمة الصوفية كان يقول لمن يسأله: (اصبر حتى يجيء جبريل)[٨١] !

٣) الظن بأن علم الشريعة لا يتعلق إلا بظاهر الدين، وأن التصوف هو العلم بباطن الدين وحقائقه.

فلقد قسم الصوفية الدين إلى قسمين: ظاهر، وهو ما تدل عليه العلوم الشرعية، وباطن، وهو ما تدل عليه العلوم الصوفية، من حقائق مزعومة.

يقول داود بن ماخلا الشاذلي: (ديننا هذا قسمان: ظاهر علم، وباطن حقيقة)[٨٢].

ويقول محمد السمنودي: (الطريقة إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة، وباطنها الحقيقة)[٨٣].

ويقول محمد العربي التجاني: (العلم ينقسم بحسب اعتباره هنا إلى قسمين: علم الظاهر، وعلم الباطن)[٨٤].

ويرى الصوفية أن النصوص الشرعية لها تفسيران: تفسير ظاهري واضح، هو المتبادر منها، يعرفه علماء التفسير والحديث والعقيدة، وتفسير باطني خفي، لا يعلمه إلا علماء الصوفية وخواصهم.

قال الجيلي عن التفسير الباطني: (إن كلامه صلى الله عليه وسلم يحتوي على أسرار لا تتناهى، ولكلامه ظاهر وباطن، إلى سبعة بطون)[٨٥].

وقال أحمد المستغانمي: علم القوم [أي: الصوفية] هو باطن القرآن، فوكل الله عز وجل بظاهره أرباب الظواهر، ووكل بباطنه أرباب البصائر، فسلّم لأهل هذا العلم ؛ فلهم أن يستخرجوا ما شاءوا من أي شيء شاءوا [٨٦].

والصوفية يفضلون التفسير الباطني على التفسير الظاهري، ويدّعون أن نسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر، والدر إلى الصدف.

قال النابلسي: العلوم الظاهرة للعلوم الباطنة، بمنزلة رسوم الدار للدار، أو بمنزلة القشور للب [٨٧].

وقال ابن عجيبة: الروحانية التي هي محل علوم الحقائق مثلها كالدر، والبشرية التي هي محل العلوم النقلية كالصدف لتلك الياقوتة [٨٨].

وبهذا سلك أهل التصوف مسلك الباطنية ؛ بتقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، ثم بتفضيل الباطن على الظاهر، والزعم أن الظاهر نصيب العامة، والباطن نصيب الخاصة، وأن النصوص الشرعية هي أسرار ورموز لا يكشفها إلا الأولياء.

والتفسير الباطني كما يرى المتصوفة مجاله رحب واسع، فلا يتقيد فيه الصوفي بمعقول ولا منقول، ولا يستلزم معرفة باللغة العربية، أو الأحكام الشرعية، وهو مقبول عندهم حتى ولو خالف إجماع المفسرين !

لقد أخطأ المتصوفة حينما قصروا علوم الشريعة على الأمور الظاهرة من الدين، ذلك أن علوم الشريعة كما تهدف إلى إصلاح ظواهر المسلمين، فهي أيضا تهدف إلى إصلاح بواطنهم، بتحقيق التوحيد، وزيادة الإيمان، وتطهير النفوس من أدواء الغل والحقد والحسد وسوء الظن، ونحو ذلك.

وقد أخطأ المتصوفة أيضا حينما ظنوا أن الحقيقة لا تؤخذ من علوم الشريعة، وإنما هي عندهم في ما يقرره أئمتهم.

قال ابن الجوزي: (وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله ؛ لأن الشريعة كلها حقائق)[٨٩].

٤) الاختلاف الكبير بين علم الشريعة وعلم التصوف، اختلاف يصل إلى حد التناقض في مسائل كثيرة من الدين، كما سبق بيانه، مما تعذر معه الجمع والتوفيق بينهما، فإن أخذوا بعلم الشريعة ظاهرا وباطنا ؛ استلزم ذلك ترك التصوف المناقض له، وإن أخذوا بعلم التصوف ظاهرا وباطنا ؛ كشفوا الأسرار، وتعرضوا للإنكار.

فتواصى الصوفية فيما بينهم بكتمان الحقيقة الصوفية في باطنهم، وإظهار الشريعة.

قال علي حرازم ـ وهو من أئمة الطريقة التجانية ـ: (الواجب على الصادق أن يستغرق في أنوار الحقيقة باطنا، ويعمل بالشريعة ظاهرا)[٩٠].

وقال ابن عجيبة: (والتحقيق: أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن، والتحقق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر)[٩١].

والتعلق بأوصاف الربوبية هو اعتقاد العقيدة الصوفية، فيجب فيها الستر والكتمان، وأن يكون مظهرا للناس الالتزام بالعقائد الشرعية.

وقال إبراهيم الدسوقي مخبرا عن أئمة الصوفية: (ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول)[٩٢].

٥) إنكار علماء الشريعة على المتصوفة، فقياما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لعموم المسلمين، وذبا عن الشريعة، وحراسة للعقيدة ؛ قام علماء الشريعة ـ عبر العصور ـ بالإنكار على المتصوفة، والرد على بدعهم، والذم للتصوف، والتحذير منه.

وقد تنوعت أساليب أهل العلم في مواجهة التصوف، ومن ذلك:

أ- المناصحة لأئمة الصوفية وعامتهم.

ومن أمثلة المناصحة قول شيخ الإسلام ابن تيمية لأحد المتأثرين بابن عربي الصوفي: (هذا الكلام الذي ذكره هذا... يوافق القرآن أو يخالفه ؟ فقال بل يخالفه، قلت: اختر لنفسك: إما القرآن، وإما كلام ابن عربي)[٩٣].

وقول مصطفى صبري: وإني أنصح الصوفية تجاه هذه التلاعبات بالحق وعقول الخلق، فلا ينفعهم بين يدي الله قول الشيخ الأكبر أو الأصغر [٩٤].

ب- بيان حكم التصوف .

فقد قام أئمة أهل العلم ببيان حكم ما وقع فيه المتصوفة من بدع، وأوضحوا أن الحكم يتفاوت بحسب درجة البدع التي وقعوا فيها، مع تأكيدهم على أن البدع كلها ضلال، وتشويه للإسلام، وتفريق للمسلمين.

قال القاضي سعد الدين الحارثي وهو ـ من علماء القرن الثامن الهجري ـ: (ما ذكر في الكلام المنسوب إلى الكتاب المذكور [يعني: فصوص الحكم لابن عربي] يتضمن الكفر،... وكل هذه التمويهات ضلال وزندقة)[٩٥].

وأنكر ابن الجوزي على الصوفية الخروج إلى البراري بقصد التعبد، بلا زاد، وادعاء أن ذلك توكل على الله، وتضييعهم لأجل ذلك الفرائض، وبين أن من فعل ذلك (هو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٩٦].

ت- التحذير من ضلالات الصوفية.

لقد قام علماء الشريعة بواجبهم في تحذير الناس من ضلالات الصوفية.

ومن ذلك أن ابن حجر العسقلاني لما ترجم لابن الفارض ـ وهو من مشاهير الصوفية ـ قال عنه: (ينعق بالاتحاد الصريح [أي: اتحاد الخالق بالمخلوق] في شعره، وهذه بلية عظيمة، فتدبر نظمه ولا تعجل،... وما ثم إلا زي الصوفية، وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك، والله الموعد)[٩٧].

ث- الدعوة إلى هجر الصوفية.

فقد أمر الإمام أحمد بهجر السري السقطي [٩٨]، وهو من كبار أئمة الصوفية.

وهجر علماء مصر ذا النون المصري [99] ، وهو من أوائل من تكلم بهذا المذهب.

ج- مناظرة علماء الصوفية.

فقد ناظر فقهاء حلب السهروردي المقتول[100]، وهو من أئمة الصوفية في القرن السادس.

وناظر العلماء إبراهيم المواهبي [101]، وهو من مشايخ الصوفية في القرن العاشر الهجري.

ح- كتابة المؤلفات في الرد على الصوفية.

وهي كثيرة جدا، منها ما هو رد عام على الصوفية، مثل رسالة:(ذم ما عليه مدعوا التصوف)، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، ومنها ما هو رد على رأي من آراء الصوفية، مثل كتاب: (الصوارم الحداد لعلائق أرباب الاتحاد)، ومنها ما هو رد على داعية من دعاة التصوف، مثل كتاب: (الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين).

فكانت هذه الأمور سببا في نفور أهل التصوف من علم الشريعة.

خامسا: نتائج موقف المتصوفة من علم الشريعة

نتج عن إعراض المتصوفة عن علم الشريعة، وانتقاصهم له ولحملته ؛ نتائج سيئة، وآثار وخيمة، على الصوفية بخاصة، وعلى الأمة الإسلامية بعامة، ومن ذلك:

١) كثرة البدع والمحدثات.

فقد ظهرت لدى المتصوفة عقائد وعبادات محدثة لم يدل عليها دليل من الأدلة الشرعية، وإنما مصدرها استحسان من مشايخهم، أو تقليد للأمم السابقة.

ومن ذلك بناء المساجد على القبور.

وهذا أمر ظاهر واضح في أماكن انتشار الصوفية، إما أن يدفن الشيخ في المسجد، وإما أن يبنى على قبر الشيخ مسجدا، مع أن النبي صلى الله

وسلم قد نهى عن ذلك بقوله: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد)[١٠٢].

ومن ذلك الأذكار والأدعية والأوراد المحدثة.

كصلاة الفاتح، وهي صلاة محدثة على النبي صلى الله عليه وسلم، اخترعها أصحاب الطريقة التجانية، زعموا أن من قالها مرة حصل له من الثواب ما يزيد على ثواب من ذكر الله مائة ألف عام،، وما يزيد على ثواب تلاوة القرآن خمسة آلاف مرة [١٠٣] !

ومن ذلك الاستغاثة بالأولياء عند الشدائد.

قال إبراهيم الدسوقي: إذا صدق المريد مع شيخه، ونادى شيخه من مسيرة ألف عام[!] ؛ أجابه حيا كان أو ميتا، فليتوجه الصادق بقلبه إلى شيخه، في كل أمر داهمه في دار الدنيا، فإنه يسمع صوت شيخه، ويغيثه مما فيه [١٠٤].

أين هذا من قول الله تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين)[١٠٥].

وقوله تعالى: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير)[١٠٦].

ومن بدعهم التعبد لله بالرقص والغناء وما يسمونه بالسماع.

قال السهروردي: (ربما صار الرقص عبادة بحسن النية)[١٠٧] .

٢) انتشار الخرافات والأوهام.

فلا شك أن الجهل سبب لانتشار الخرافات في المجتمع، فيقتنع الناس من الأباطيل التي تروّج بينهم، فيظنونها حقائق يقينية، وكيف لا تكون كذلك ؛ وقد اخبرهم بها شيخ الطريقة !

ومن ذلك أنه قيل لأبي يزيد البسطامي: بلغت جبل قاف ؟ فقال: جبل قاف أمره قريب، الشأن في جبل كاف، وجبل عين، وجبل صاد ! هذه جبال محيطة بالأرضين السفلى [١٠٨].

وقيل له: دخلت إرم ذات العماد ؟ فقال: دخلت ألف مدينة لله، أدناها ذات العماد، ثم عدها كلها: البيت، وتاويل، وتاريس، وجابلق، وجابرس، ومسك، وذات العماد... [١٠٩] !

وكثيرا ما يذكر الصوفية أنهم رأوا الذين ماتوا منذ قرون، وكلموهم، وسمعوا أصواتهم.

ورووا عن شيخهم علي المرصفي أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة للقرآن [١١٠]، أي: قرأ مائتين وخمسين ختمة في الدقيقة الواحدة !

ويقول أبو طالب المكي: إن لله وليا خطا خطوة واحدة مسيرة خمسمائة عام [١١١].

وكان محمد الشربيني يقول للعصا التي معه:كوني إنسانا، فتكون إنسانا، فيرسلها تقضي الحوائج بزعمهم [١١٢].

وأمثال هذه الخرافات كثيرة في تراث المتصوفة، ويُلزم الصوفي أن يقتنع بها، ولا يعترض على شيخه.

٣) التصديق بالسحر والكهانة.

لقد اشتغل بعض الصوفية بعلوم السحر، مدعين أنها من العلوم الربانية الروحانية، وأن نتائجها هي كرامات تحصل للأولياء، وتعاملوا مع الجن بزعم أنهم ملائكة، أو أرواح خيرة، حتى صار بعض مشايخهم سحرة وكهانا، يحضّرون الأرواح بزعمهم، ويقيمون حفلات الزار والحضرات، ويعملون الطلاسم، ولهم في ذلك مؤلفات.

يقول أحمد الصاوي: سيدي محمد الخلوتي أخذ عن الشيخ دمرداش علم الأوفاق والحروف والزايرجا والرمل [١١٣].

ومن ذلك ما ذكره البوني: اللهم أهل بكمد جينج يـامور شـطيئا يـا طهوج يا مبططروش أجب يا هزيائيل...[١١٤].

وقال ابن عربي:... فإن سألك عن الحرز فاكتب لهم هذه الأسماء: سطم ا عـه ٢٢ ١ ٩٩ ٩ ااا اا الله ا عـه ٢٢ ١ ٣ ـ ٩١٦ ١٩ كطـل سـطل حه كطـطلعه ١٠٨ مـري سـوالف ي ح ل ٩٨١ سـوال[١١٥].

وادعوا العلم بالمغيبات، بزعم أن ذلك من خواص الأولياء.

قال أحمد الرفاعي: (إن لله تعالى بحرا من رمل، يجري بين السماء والأرض، منذ خلق الله تعالى الدنيا، إلى يوم القيامة، لله تعالى بعدد كل رملة فيه مدينة، قدر دنياكم هذه، لابد لكل ولي ـ حقّ له قدم الولاية ـ من دخول هذه المدائن، والإحاطة بأهلها، وحيواناتها، ومعرفة أسمائهم، وأنسابهم، وطبائعهم)[١١٦] !

هذا ما يدعونه، والله سبحانه وتعالى يقول: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)[١١٧]

٤) كثرة الأحاديث الموضوعة.

يلحظ في التراث الصوفي اشتماله على كم كثير من الأحاديث الواهية الباطلة، اعتمدوا عليها في الترويج لطرقهم، والتأصيل لبدعهم. ذلك أنهم تركوا المقاييس العلمية التي حددها علماء السنة في الحكم على متون الأحاديث وأسانيدها، واعتمدوا على مقاييس طرق خاصة بهم في الحكم على الحديث صحة وضعفا.

فتارة يصححون الحديث بالكشف الصوفي، وتارة بالرؤى والمنامات، وتارة بالذوق.

قال ابن عربي: (ومن كان من الصالحين، ممن كان له حديث مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو مستيقظ،... ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها) [118].

وقال الشعراني: (وقال – يعني شيخه أحمد الزواوي – لي مرة: (إن طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يجالسنا يقظة، ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله عن أمور ديننا، وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ؛ ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها) [119] .

سئل شيخ الصوفية عبد العزيز الدباغ عن معنى قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) [120] ، فقال: (لا أفسر لكم الآية، إلا بما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم بالأمس) [121] !

ولا شك أن من أعظم الطعن في السنة النبوية، ادعاء أخذها عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، من غير احتياج لمطالعة ما صنفه حفاظ الحديث، من كتب مسندة، مختصة بجمع الأحاديث النبوية.

ولازم قول الصوفية، أن أئمة الحديث – كالبخاري، ومسلم – قد ضيعوا الأوقات في البحث والتحري، وكان الطريق الأصح – بزعمهم – الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم، يقظة، أو مناما ؛ فيأخذوا أحكامه على الأحاديث [122] !

وبالتأمل في كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي – وهو من أقرب كتب التصوف إلى علم الشريعة – يتبين أنه قد جمع كما هائلا من الأحاديث المكذوبة والواهية، ومن ذلك:

أ- حديث: (جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش) [123].

قال الحافظ العراقي: (لم أجد له أصلا) [124] .

وقال الألباني: (باطل) [١٢٥] .

ب- حديث: (إن الأكل على الشبع يورث البرص) [١٢٦].

قال الحافظ العراقي: (لم أجد له أصلا) [١٢٧] .

وقال الألباني: (لا أصل له، وهو من الأحاديث الكثيرة الباطلة التي شحن بها الغزالي كتبه، سيما كتابه الإحياء) [١٢٨].

ج- حديث: (الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة) [١٢٩].

قال الحافظ العراقي عن هذا الحديث، وأحاديث أخرى ذكرها الغزالي: (لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا) [١٣٠] .

وقال الألباني: (باطل) [١٣١].

د- حديث: (شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة) [١٣٢].

قال الحافظ العراقي: (لم أجد له أصلا) [١٣٣].

وهذه الأحاديث هي من باب واحد من أبواب كتاب إحياء علوم الدين.

قال ابن تيمية: (وفي الإحياء... أحاديث ضعيفة، بل موضوعة كثيرة)[١٣٤].

٥) التفرق والاختلاف.

إن التفرق مذموم في ديننا، كما قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[١٣٥].

لكن عدم اعتصام المتصوفة بالكتاب والسنة، وبعدهم عن علم الشريعة، قد كانا سببا في تفرق الأمة، بفشو البدع التي تفرق الأمة، وتشوه الإسلام.

وانقسم الصوفية إلى طرق شتى، لكل طريقة شيخ وأوراد وطقوس، بينها تنافس على الأتباع، كل يزعم أنه صاحب الطريقة الربانية، المستقاة من المنهج النبوي.

ومن هذه الطرق على سبيل المثال:

أ- القادرية.

ب- الشاذلية.

ج- البرهامية.

د- النقشبندية.

ه- الخلوتية.

و- التجانية.

ز- الختمية.

وغيرها كثير، وتفرع عن هذه الطرق طرق أخرى، ولكل طريقة من هذه الطرق أتباع يرون أن الحق والنجاة فيها .

٦) التخلف العلمي والحضاري.

لقد عمم المتصوفة نظرتهم السيئة إلى العلوم، فشملت كل العلوم التي تعتمد على العقل، والعلوم التي تستند على التجربة، والعلوم التي تستند على النقل والرواية، اكتفاء بعلوم المكاشفة المزعومة.

وبهذا أغرق المتصوفة الأمة في التخلف العلمي، وتسببوا في التوقف الحضاري للأمة الإسلامية، فما قيمة المعامل والمختبرات، وما فائدة المصانع والمستشفيات، وهي مبنية على الأوهام في اعتقادهم.

ثم إن الطريقة التي وضعها أئمة التصوف ليسير عليها السالكون، تتضمن العزوف عن الدنيا بالكلية، وترك عمارة الأرض.

قال الشعراني: (من شأن المريد أن يجعل رأس ماله حذف العلائق الدنيوية ؛ فإن من كان له علاقة دنيوية ؛ فقلّ أن يفلح)[١٣٦].

ولا شك أن (العلائق الدنيوية) ــ التي أمر الصوفية بحذفها ــ لفظ عام، يشمل: الأموال، والمساكن، والأعمال، والعلوم غير الصوفية.

قال يوسف العجمي: (كل ما يشتغل به المريدون... من الحظوظ: من تجارة، أو عمل حرفة، فيه حكم من ربط في عنقه حبالا وثيقة تجره إلى ناحية قفاه) [١٣٧].

ففضل الصوفية البطالة على العمل، ومن العجيب أنهم أجازوا لأتباعهم أن يسألوا الناس، مع ما في السؤال من ذل، بل كانوا يأمرونهم أحيانا بذلك، ويوجهونهم إلى المساجد والأسواق.

ذكر ابن عربي أن شيخه أبا مدين الملقب ـ بشيخ الشيوخ ـ ترك الحرفة، وكان يأخذ ما يعطى [١٣٨].

وادعى أبو حامد الغزالي أن الأموال التي يحصل عليها الصوفية بالسؤال هي من أشرف المكاسب، وهي دالة ـ بزعمه ـ على عناية الله بالصوفية [١٣٩] !

وقد رسخ الصوفية في الأمة الاستسلام، بدعوى عدم معارضة الأقدار.

قال ابن عطاء الله: (ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) [١٤٠].

وقال علي الخواص: (إياك والفرار من حال أقامك الله فيه، فإن الخيرة فيما اختاره الله لك) [١٤١].

فأشاع الصوفية بين المسلمين مفهوما منكوسا للتوكل، يوجه إلى التخلف، وعدم تغيير الواقع.

سادسا: الموقف الصحيح من علم الشريعة

استبان لنا فيما سبق موقف الصوفية من علم الشريعة، وأود هنا أن أبين ـ بإيجاز ـ الموقف الصحيح من علم الشريعة.

فإنه يجب على كل مسلم الاعتصام بالكتاب والسنة، وتحكيمهما في جميع أمور الحياة.

قال الله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)[١٤٢].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التمسك بالوحيين: الكتاب والسنة أمان من الضلال، فقال: (تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)[١٤٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي) [١٤٤].

والسبيل إلى العمل بالكتاب والسنة هو التفقه فيهما ؛ بطلب علم الشريعة.

ولذا فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أهمية طلب علم الشريعة، بل نص على وجوبه، فقال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[١٤٥].

فإن العبد لا يتم إيمانه، ولا تصح عبادته، ولا تحسن معاملته للناس ؛ إلا بالعلم بالدين، والقاعدة الأصولية تنص على أن (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[١٤٦].

فتعلم العلم الشرعي واجب، وهو على قسمين:

١ ــ واجب عيني على كل مكلف، وهو ما لا يسع المؤمن جهله، مما وجب عليه عمله والإتيان به، كالتوحيد والصلاة والطهارة، ونحو ذلك. فيأثم كل من تركه.

٢ ــ واجب كفائي، وهو ما زاد على ذلك من علوم الشريعة، بتحصيل مالا بد للناس منه في إقامة دينهم،كتفصيل مسائل التفسير، ومعرفة رواة الحديث، وأحكام القضاء، ونحو ذلك [١٤٧].

والله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستزادة من شيء إلا العلم، فقال تعالى: (وقل رب زدني علما)[١٤٨].

إن طلب العلم عمل مبارك، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التفقه في الدين سبب لدخول الجنة، فقال: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)[١٤٩].

ومن طلب العلم محتسبا فليعلم أن الله تعالى قد أراد به الخيـر، قـال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[١٥٠].

أما علماء الشريعة العاملون فهم خير الناس، فقد إستشهدهم الله تعـالى على أعظم مشهود به، فقال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هـو والملائكـة وأولوا العلم قائما بالقسط)[١٥١].

وللعلماء المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[١٥٢].

والعلماء لا يسـاويهم أحد في منـزلتهم، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[١٥٣].

فهم أفضل من العبّاد، لأن العبّاد عبادتهم قاصرة عليهم، والعلماء نفعهم متعدي لعموم الخلق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب)[١٥٤].

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يفقهنا في دينه، ويعلمنا تأويل كتابه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، وأن يرد المسلمين إلى دينه ردا جميلا، وصلى الله وسلم على نبينـا محمـد، وعلى آله وصحبه.

المراجـــع:

١. القرآن الكريم.

٢. الأصفهاني، الحسين الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيـق: محمـد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٣. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨ هـ.
٤. الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام،المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.
٥. الأهدل، عبد القادر، تاريخ النور السافر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مع شرحه فتح الباري، المطبعة السلفية، القاهرة، تصوير دار المعرفة.
٧. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
٨. البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٧ هـ.
٩. التجاني، محمد العربي، بغية المستفيد، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ.
١٠. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١١. التفتازاني، أبو الوفا، المدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة، الطبعة الثانية.
١٢. التهانوي، محمد، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
١٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع: محمد ابن قاسم، الرئاسة العامة لشئون الحرمين، مكة.
١٤. الجامي، عبد الرحمن، نفحات الأنس، دار التراث العربي، مصر.
١٥. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ، تصوير دار الرائد العربي، بيروت.

١٦. الجيلاني، عبد القادر، الغنية، تحقيق: فرج توفيق، مكتبة الشرق الجديد، بغداد.
١٧. الجيلي، عبد الكريم، الإنسان الكامل، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠ هـ.
١٨. الجيلي، عبد الكريم ، الكهف والرقيم، تحقيق: بدوي علام، دار الرسالة، القاهرة.
١٩. الجيلي، عبد الكريم ، المناظر الإلهية، تحقيق: نجاح الغنيمي، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
٢٠. ابن الحجاج، مسلم، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١. ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، دار المعارف النظامية، الهند، ١٣٣٠ هـ.
٢٢. حرازم، على، جواهر المعاني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٧ هـ.
٢٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، دراسة: كمال الحوت، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٤. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٢٥. أبو ريان، محمد، أصول الفلسفة الإشراقية، دار الطلبة العرب، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٦. السمنودي، محمد، تحفة السالكين، تصحيح: محمد محمود، المكتبة المحمودية، القاهرة.
٢٧. السهروردي، عبد القادر، عوارف المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٢٨. الشعراني، عبد الوهاب ، الأنوار القدسية، مطبوع بحاشية الطبقات الكبرى له، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ، مصورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
٢٩. الشعراني، عبد الوهاب، الطبقات الكبرى، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ، مصورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
٣٠. الشعراني، عبد الوهاب، لطائف المنن والأخلاق، عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية .
٣١. شقفة، محمد، التصوف بين الحق والخلق، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
٣٢. الشوكاني، محمد بن علي، القول المفيد في الاجتهاد والتقليد، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
٣٣. صادق، سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
٣٤. صبري، مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٥. الصيادي، محمد أبو الهدى،راحة الأرواح، المطبعو المصرية، القاهرة، ١٣٢١ هـ .
٣٦. الصيادي، محمد، قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأصحابه الأكابر ، مكتبة الرفاعي، القاهرة.
٣٧. الطوسي، عبد الله بن علي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٠ هـ.
٣٨. الطويل، توفيق، إمام التصوف في مصر الشعراني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٣٩. ظهير، إحسان إلهي، التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٤٠. ظهير، إحسان إلهي، دراسات في التصوف، إدارة ترجمان السنة، لاهــور، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـــ.
٤١. ابن عبد البر،يوسف، جامع بيان العلم وفضله، إدارة الطباعـــة المنيريـــة، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. ابن عجيبة: أحمد بن محمد، إيقاظ الهمم ، مكتبة مصطفى البـــابي الحلبـــي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـــ.
٤٣. ابن عجيبة، أحمد، الفهرسة ، تحقيق: عبد الحميد حمدان، دار الغد العربـــي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
٤٤. ابن عجيبة، أحمد، الفتوحات الإلهية، تحقيق: عبد الرحمن محمـــود، عـــالم الفكر، القاهرة.
٤٥. العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار، مطبوع بحاشية إحياء علوم الدين للغزالي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٦. ابن عربي، محمد بن علي، التجليـــات، تحقيـــق: عثمـــان يحيـــى، مركـــز دانشكاهي، طهران، ١٤٠٨ هـــ.
٤٧. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، مصورة عن طبعة القاهرة، ١٣٢٩ هـــ.
٤٨. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـــ.
٤٩. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، بشرح القاشاني، مكتبة البـــابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـــ.
٥٠. العروسي، مصطفى، حاشية العروسي، نشر عبد الوكيل الدروبي، دمـــشق، مصورة عن دار الطباعة، مصر، ١٢٩٠ هـــ.
٥١. الغزالي، أبوحامد محمد، إحياء علوم الدين، دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، بيروت.

٥٢. الغزالي، أبو حامد محمد، مشكاة الأنوار، تعليق: رياض العبد الله، دار الحكمة، دمشق، ١٤٠٧ هـ.
٥٣. الغزالي، أبو حامد محمد، المنقذ من الضلال، تحقيق: محمد أبو العلا ومحمد جابر، مكتبة الجندي، القاهرة.
٥٤. الفاسي، محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨١ م.
٥٥. الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٥٦. القاسم، محمود، الكشف عن حقيقة الصوفية، المكتبة الإسلامية، عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.
٥٧. القاشاني، عبد الرزاق، شرح فصوص الحكم، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـ.
٥٨. القشيري، عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩ هـ.
٥٩. الكردي، محمد أمين، المواهب السرمدية، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩ هـ.
٦٠. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة السادسة.
٦١. الكلاباذي ، محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: آرثر أبري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.
٦٢. الكمشخانوي، أحمد، جامع الأصول، مطبعة الجمالية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨ هـ.
٦٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن، دار الفكر.
٦٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

٦٥. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، المطبعة المصرية، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

الإحالات:

[1] مصطلح التصوف وجد لأول مرة في العالم الإسلامي في القرن الثاني الهجري، عندما وصف به أبو هاشم الزاهد، وجابر بن حيان، وعبدك الصوفي، ولكن ظهور المصطلح واشتهاره كان في القرن الثالث. انظر: ظهير، إحسان إلهي، التصوف المنشأ والمصادر، ٤٣.

[2] راجع: القاسم، محمود، الكشف عن حقيقة الصوفية، ٧٣٩ـ٧٤٠.

[3] البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ٢٤.

[4] الكلاباذي، التعرف، ٩.

[5] القشيري، الرسالة القشيرية، ٤٦٧.

[6] الجامي، نفحات الأنس، ٤٥٥.

[7] السهروردي، عوارف المعارف، ٥٤.

[8] التفتازاني، المدخل إلى التصوف الإسلامي، ١٠٧ بتصرف.

[9] الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ١٥٣/٤، والأصفهاني، الراغب،المفردات في غريب القرآن، ٣٤٣.

[10] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ٣٤١/٣، والمعجم الوسيط، ٦٢٤/٢.

[11] الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ٢٥٨.

[12] القشيري، الرسالة القشيرية، ٤٥.

[13] المرجع السابق، ٨٠.

[14] الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ٣٧٠/١.

[15] ابن عربي، الفتوحات المكية، ٦٩/٣.

[16] الجيلي، الإنسان الكامل، ٨/١.

[17] الكردي، المواهب السرمدية، ٥.

[18] النابلسي، حكم شطح الولي، ١٩٦.

[19] القاشاني، شرح فصوص الحكم، ١٥٢.

[20] الكمشخانوي، جامع الأصول، ٩٩.

[21] العروسي، حاشية العروسي، ٢٢/١.

[22] ابن عربي، فصوص الحكم بشرح القاشاني، ٦٧.

[23] الجيلي، الكهف والرقيم، ٢٠.

[24] حرازم، علي، جواهر المعاني، ١/١٥٨ـ١٥٩.

[25] المستغانمي، المنح القدوسية، ٢٨٣.

[26] العروسي، حاشية العروسي، ١/٦٠.

[27] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ٣٢٨.

[28] النابلسي، الوجود الحق، ٢٥٧.

[29] محمود، عبد الحليم، المدرسة الشاذلية، ٩٣.

[30] ابن عطاء الله، ٦٠.

[31] الصيادي، محمد، ٢١٦.

[32] ابن عربي، الفتوحات المكية، ٣/٢٥٧.

[33] محمود، عبد الحليم، المدرسة الشاذلية، ٩٤.

[34] سورة المجادلة، ٤٧.

[35] ابن عربي، الفتوحات المكية،١/٢٧٩.

[36] ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ٩٨.

[37] حرازم، علي، جواهر المعاني، ٢/١٣٧.

[38] القشيري، الرسالة القشيرية، ٣٥٢.

[39] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٢/٢٣٧.

[40] رواه الترمذي، برقم ٦٥٦.

[41] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٣٢٧.

[42] محمود، عبد الحليم، المدرسة الشاذلية، ٩٤.

[43] الأهدل، تاريخ النور السافر، ١٥٨.

[44] الطويل، توفيق، إمام التصوف في مصر الشعراني، ٣٨.

[45] ابن عجيبة، الفهرسة، ٥٣.

[46] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

[47] الشعراني، الأنوار القدسية، ٢/٩٠.

[48] محمود، عبد الحليم، المدرسة الشاذلية، ٢٠.

[49] انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ١/٩٤، ٢/٧٤ـ٧٥.

[50] رواه أحمد، ٢/٢٥٢.

[51] سورة طه، ١١٤.

[52] ابن عربي، الفتوحات المكية، ٣/١٥١.

[53] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٣/١٩، بتصرف.

[54] ابن الجوزي، تلبس إبليس، ٣٢٣.

[55] القشيري، الرسالة القشيرية،٣٥٣.

[56] الشعراني، الأنوار القدسية، ١/١٩٩.

[57] الطوسي، اللمع، ٢٣٥.

[58] الشعراني، الطبقات الكبرى ، ٢/١٥٠.

[59] انظر: السمنودي ، تحفة السالكين، ٦٩، و شقفة، محمد، التصوف بين الحق والخلق ١٤٥.

[60] الشعراني، الأنوار القدسية، ٢/٨٧.

[61] الشوكاني، القول المفيد في الاجتهاد والتقليد، ٥٤.

[62] المرجع السابق، ٥٦.

[63] السمنودي، تحفة السالكين، ٨٠.

[64] الشوكاني، القول المفيد في الاجتهاد والتقليد، ٤٢.

[65] راجع: المستغانمي، المنح القدوسية، ١٢٢، والعروسي، حاشية العروسي، ١/١٧٧.

[66] سورة الملك، ١٠.

[67] انظر: أبو ريان، محمد، أصول الفلسفة الإشراقية، ٤٥، وكرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، ٢٤٤، وبدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ٢/٨٦.

[68] العروسي، حاشية العروسي، ١/٦٩.

[69] الصيادي، راحة الأرواح، ٣٠.

[70] ابن عربي، التجليات، ٣٤٣.

[71] التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ٣٩.

[72] الشعراني، الطبقات الكبرى، ١/٥.

[73] ابن عربي، الفتوحات المكية، ٤/٢٧٢.

[74] ابن المبارك، الإبريز، ٢٥٥.

[75] الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، ٧٦.

[76] الشعراني، الطبقات الكبرى، ١/٣٧١.

[77] الغزالي، أبو حامد، مشكاة الأنوار، ١١٦.

[78] الجيلي، المناظر الإلهية، ١٢٢ باختصار.

[79] المرجع السابق، ١٢٣.

[80] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٩٥/١ ــ ٤٠٧.

[81] الشعراني، لطائف المنن والأخلاق، ٤٧٦.

[82] الشعراني، الطبقات الكبرى، ١٩٨/١.

[83] السمنودي، تحفة السالكين، ٦٣.

[84] التجاني، محمد العربي، بغية المستفيد، ١٠.

[85] الجيلي، الإنسان الكامل، ١٢٩/١.

[86] المستغانمي، المنح القدوسية، ٨ ــ ١٠.

[87] النابلسي، الفتح الرباني، ١٧٩ــ١٨٠.

[88] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ٣٣١.

[89] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٣٢٤.

[90] حرازم، علي، جواهر المعاني، ١٠١/١.

[91] ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ٢٣٤.

[92] الشعراني، الطبقات الكبرى، ١٦٩/١.

[93] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٩٢/١٣.

[94] صبري، مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العلمين، ٢٧٣/٣ ــ ٢٧٤ باختصار.

[95] الفاسي، العقد الثمين، ١٧٢/٢.

[96] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٢٩٧.

[97] ابن حجر، لسان الميزان، ٣١٧/٤.

[98] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ١٦٩

[99] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٣٤/١١.

[100] المرجع السابق، ٢٠٨/٢١.

[101] الشعراني، الطبقات الكبرى. ١١٥/٢، ١٦٩.

[102] رواه البخاري، برقم ٤٣٧.

[103] حرازم، علي، جواهر المعاني ، ١١٤/١، ١٨٣/٢،

[104] الشعراني، الأنوار القدسية، ١٢٠/١.

[105] سورة يونس، ١٠٦.

[106] سورة فاطر، ١٣ ــ ١٤.

[107] السهروردي، عوارف المعارف، ١٨٠.

[108] المكي، أبو طالب، قوت القلوب، ٢/٨٠.

[109] المرجع السابق .

[110] الشعراني، الطبقات الكبرى، ٢/١٢٨.

[111] المكي، أبو طالب، قوت القلوب، ٢/٨٠.

[112] الشعراني، الطبقات الكبرى. ٢/١٣٦.

[113] القاسم، محمود، الكشف عن حقيقة الصوفية، ٨٦٧ باختصار.

[114] ظهير، إحسان إلهي، دراسات في التصوف، ١٩٨ـ١٩٩.

[115] القاسم، محمود، الكشف عن حقيقة الصوفية، ٨٦١.

[116] الصيادي، محمد أبو الهدى، قلادة الجواهر، ٣٧.

[117] سورة النمل، ٦٥.

[118] ابن عربي، الفتوحات المكية، ٣/٥٠.

[119] صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ٢٣٦.

[120] سورة الرعد، ٣٩.

[121] المبارك، محمد، الإبريز، ١٥٠ .

[122] انظر: المرجع السابق، ٥١٤.

[123] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٣/٨٠.

[124] العراقي، المغني عن حمل الأسفار، ٣/٨٠.

[125] الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم ٢٤٧.

[126] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٣/٨٢.

[127] العراقي، المغني عن حمل الأسفار، ٣/٨٢.

[128] الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم ٢٤٦.

[129] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين،٣/٨١.

[130] العراقي، المغني عن حمل الأسفار، ٣/٨٢.

[131] الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم ٢٤٩.

[132] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٣/٩٢.

[133] العراقي، المغني عن حمل الأسفار، ٣/٩٢.

[134] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٠/٥٥١ـ٥٥٢.

[135] سورة آل عمران، ١٠٣.

[136] الشعراني، الأنوار القدسية، ١/٦٥.

[137] المرجع السابق، ٢/٦١.

[138] ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، ٩/ ٤١٧.

[139] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤/٢٧٤ـ٢٧٥.

[140] النفزي، غيث المواهب العلية، ١/٩٧.

[141] الشعراني، الطبقات الكبرى، ٢/١٥٦.

[142] سورة النساء، ٥٩.

[143] رواه مسلم، برقم ١٢١٨.

[144] رواه أبو داود، برقم ٤٦٠٧.

[145] رواه ابن ماجه، برقم ٢٢٤.

[146] انظر:الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ١/١١١.

[147] ابن عبد البر،جامع بيان العلم وفضله، ١٠.

[148] سورة طه ١١٤.

[149] رواه أبو داود، برقم ٣٦٤١.

[150] رواه البخاري، برقم ٧١.

[151] سورة آل عمران، ١٨.

[152] سورة المجادلة، ١١.

[153] سورة الزمر، ٩.

[154] رواه أبو داود، برقم ٣٦٤١.

The Sufism and the Science of Islamic Law
By

Dr. Ahmad bin Abdul Aziz al-Qusayyir
Assistant Professor at the Department of Islamic Studies In the King Faisal University.

THE CONCLUSION

At some of their good talk and orders, many scholars of Sufism invite Muslims to adhere to the Quran and the Sunnah. But one, who studied the Sufi heritage (al-Turath al-Sufi), find out that it contains a lot of legitimate infringements (al-Mukhalafaat al-Shariyyah) in Faith, Worship and Morals. This was not happened by public but by the prominent forward Imams at Sufism.

I had looked attentively at the difference between the theory side of Sufism, which call to cling to the Quran and the Sunnah, and the practical side of it, which is full of legitimate infringements. Then I clearly realized that the position of Sufism towards The science of Islamic Law is the most important reason of these infringements.

The Imams of Sufism disparage the science of Islamic Law and claim that it had been a cover on heart. They also warned of setting with the scholars of the Islamic Law. Then the Sufis have left studying Islam, and scientific and practical infringements spread out.

All of that was because Sufis followed the Illuminism Doctrine (al-Madhhab al-Ishraqi al-Ghunusi), and believed that they got knowledge by inspiration (al-Ilhaam) without needing scholars. They also thought that the science of Islamic Law is related to the exterior of the Religion and Sufism is the science, which is related to the interior of the Religion.

Staying away of the science of Islamic Law by Sufis caused bad results, some of them was, appearance of many heterodoxies, spreading superstitions, believing in magic, putting false Hadith (al-Ahadith al-Mawdu'ah), occurrence of difference on the Religion and scientific civilized underdevelopment of the Ummah.

Although the Ummah should hold fast to the Quran and the Sunnah, get the knowledge of the Islamic Law and respect the status of the science and its people.